الشيخ محمد حسين الأعلميّ
ومنهجه في كتابة التاريخ
(دائرة المعارف الشيعية أنموذجًا)

Muḥamad Ḥusayn Al- ʾAʿlamī

And His Approach In Writing History

Dāʾiratul Maʿārif A- Šīʿ

أ. د. علي طاهر الحلي

جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية

By:-

Prof. Dr. ʿAlī Ṭāhir Al- Ḥillī.

University Of Kerbala / College

Of Education For Human Science

السنة التاسعة/المجلد التاسع/العددان الثالث والرابع (٣٣-٣٤)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأوّل ٢٠٢٢م

الملخص

تمثّل دراسة سِيَرِ الشخصيات ذات الأثر الفاعل في الثقافة والفكر والوقوف على منهجها مطلبًا معرفيًّا ذا أهميّة بالغة، ولاسيّما عند البحث والتنقيب في الحياة التراثيّة لكبريات المدن في التراث الإنسانيّ ومنها كربلاء المقدّسة.

جاء بحث الشيخ محمد حسين الأعلميّ الحائريّ مصداقًا لما سبق ذكره من الأهمية؛ إذ كان رحمه الله مؤرّخًا عالمًا مصنِّفًا محققًا في كثيرٍ من أبواب العلوم الإنسانيّة؛ منها الرجال والتراجم؛ فرفد المكتبة الإنسانيّة بالعديد من المؤلّفات التي تستحق الدراسة والبحث في متونها دراسةً منهجيّة، فاخترنا -بناءً على ذلك- موسوعته «دائرة المعارف الشيعيّة العامّة» لنتعرّض لدراسة منهجه في الكتابة فيها؛ مبيّنين أبرز مظانّها التاريخيّة والأسلوبيّة، وسماتها الأدبيّة والمعرفيّة المتنوّعة.

الكلّمات المفتاحيَّة: مُحمّد حُسين الأعلميّ، منهج في كتابةِ التاريخ، دائرة المعارفِ الشيعيّة

Abstract

Studying biographies has an active role in thought and culture. So, its method has a scholarly need of great importance in the operations of the research and explorations for the legacy of the major cities in general and of Kerbala in particular.

Research in the biography of Šayḫ Muḥamad Ḥusayn Al- ʾA ʿlamī represents an example of credibility and relevance for such importance for he (Mercy upon him) was a scientist, investigator and compiler in many fields of human science as the science of transmitters and the biographies. Al- ʾA ʿlamī provided the human library with many treatises that worth a methodological study. Hence, this article sheds lights over one of his compilation, "Dāʾiratul Maʿārif A- Šīʿiyah Al-ʿĀmah" as an example for his approach. In addition, this research article aims to ostensibly highlight the stylistic historical methods of Al- ʾA ʿlamī as well as his various literary and cognitive modes.

Key Words:- Muḥamad Ḥusayn Al- ʾA ʿlamī; his Approach in writing history; Dāʾiratul Maʿārif A- Šīʿ.

السنة التاسعة/المجلد التاسع/العددان الثالث والرابع (٣٣-٣٤)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأوّل ٢٠٢٢م

المقدمة

شهد العراق مطلع القرن العشرين ظهور نخبة من علماء الدِّين المجتهدين الذين أخذوا على عاتقهم النهوض بالمجتمع وإخراجه إلى روح العصر الحديث من خلال ما تركوه من آثار جليلة شكلّت بمجملها حقلًا معرفيًا غنيًا أفاد الحراك الفكري بالمهم والأصيل من المصنّفات المتنوّعة، كما كان لعلماء كربلاء الدارسين في -حوزة النجف الأشرف- بصمة واضحة في ذلك النهج القويم، فبرز من بينهم الشيخ محمد حسين الأعلميّ، الذي درج الباحث على أن يسميه خلال البحث بـ«الشيخ الأعلميّ» اختصارًا.

حفّزت الباحث عوامل عدة على اختيار الموضوع للدراسة؛ كان في مقدِّمتها التعريف بأحد أعلام الفكر الإمامي من ذوي الأثر والفكر؛ إذ تمخّضت جهوده عن آثار جمّة لا يزال صداها حيًّا ومؤثِّرًا في المكتبة الإسلامية المعاصرة[١].

أما الدافع الآخر فاستند إلى رغبة الباحث في قراءة بحثية وموضوعية -قدر الإمكان- في منهج كتاب (دائرة المعارف)، ودواعي التأليف وموارده أنموذجًا أمثل لكتابات الشيخ الأعلميّ في أحد حقول المعرفة التاريخيّة المعنيّة بـ (ببلوغرافيا) الأعلام والأحداث التاريخيّة والمصطلحات المعرفية الأخرى، ولاسيّما أن الكتاب المذكور آنفًا هو الأبرز والأوسع بين مؤلفاته.

وقد انقدحتْ في ذهن الباحث جملة من الأسئلة والأفكار في أثناء قراءته الأوليّة حول الموضوع، تمخّضت بمجموعها عن دافع آخر للخوض في غماره كان منها: هل الدراسات الأكاديمية السابقة استطاعت أن تلمَّ اهتمامات

الشيخ الأعلميّ كلّها؟ وما طبيعة جهودها في الانتقاء والدرس لهذه الناحية أو ذلك الموضوع؟ وهل كتاب (دائرة المعارف) يستحقّ الاهتمام هذا؟ ولماذا تأليفه؟ وكيف يمكن استنباط رؤاه الاجتماعيّة والمعرفيّة والتاريخيّة من كتابه هذا؟

تكونت الدراسة من هذه المقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة؛ وضع فيها الباحث الاستنتاجات التي توصّل إليها، ففي المبحث الأول الذي جاء تحت عنوان (الشيخ الأعلميّ، قراءة في سيرته وروافد بنائهِ الفكريّ)، وتصدّى الباحث في المبحث الثاني (منهج محمد حسين الأعلميّ في كتاب دائرة المعارف) إلى الأسباب التي دعتِ الشيخ الأعلميّ إلى تأليف هذا الكتاب مع بيان أهميته بين كتب التراجم والرجال؛ بوصفه موسوعة معرفيّة فكريّة تجاوز فيه مؤلّفه ترجمة العين المعروفة إلى تناول العديد من المصطلحات الاجتماعيّة والفلسفيّة والفكريّة والتاريخيّة، فضلًا عن احتوائه على الآلاف من الأبيات الشعريّة التي أحالته إلى ديوان شعر لا يمكن للباحث في هذا المجال الإغفال عنه.

علاوة على عمل مسح إحصائيّ وتفصيليّ للمصادر التي اعتمدها في كتاب (دائرة المعارف)؛ مبيّنًا الظروف والكيفية التي جمع فيها مصادره فضلًا عن تعدّدها كمًّا ونوعًا التي جاءت لتشمل الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع مع عدم إغفاله أهمية الصحافة والمقابلات والمراسلات في إغناء مادته العلميّة بالمعلومات الوافية، وأوضح الباحث في هذا الفصل كيفيّة النقل من المصادر التي لم تكن سرديّة إلى حد ما، بل كثيرًا ما يتخلّلها نقد للروايات التي لم يجدها منسجمة والدليل التاريخي أو المنطق؛ فضلًا عن نقده لمصادره كلّما وُجدت مناسبة لذلك.

وختم الباحث بحثه هذا بمبحث ثالث عنوانه: (نماذج من معالجات كتاب دائرة المعارف وموضوعاته)، بين فيه الموضوعات التي وردت في ضمّن ترجمات الأعيان والرجال الذين ترجم لهم والذين كانت لهم إسهاماتهم الواضحة في نواحي الحياة كافة آنـذاك؛ إذ سلّط الشيخ الأعلميّ الضوء عليها؛ مستعرضًا إياها ومبرزًا أهميتها في المجتمع؛ فضلًا عن تعليقاته على العديد من الآراء والأفكار التي وردت في حياة المترجمين، التي وجد فيها الشيخ الأعلميّ أنّها ليست منسجمة مع نهجه الإصلاحيّ التجديديّ ولا مع رؤاه الفكريّة، وفي الخاتمة بيّن الباحث أهم ما توصّل إليه من الاستنتاجات.

المبحث الأول

الشيخ الأعلميّ، قراءة في سيرته وروافد بنائه الفكريّ

هو الشيخ محمد حسين بن سلمان بن ولي الله بن أمر الله بن عبد الله الأعلميّ؛ أحد أبرز روّاد النهضة الفكريّة في القرن العشرين، فهو مؤلّف ومصنّف ومحقّق وعلّامة يشار إليه بالبنان؛ ولد في إيران عام ١٣٢٠ هـ، في قرية مهرجان المتوسّطة بين يزد وسمنان ونائين وطبس، ونشأ وترعرع في بيت علم وأدب إذ تلقى أوّل دروسه في القرآن واللّغة العربية في العقد الأول من عمره المبارك على يد والده قبل أن يرتحل إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام ليشرعَ بتحصيل مقدّمات العلوم الدِّينية مدة من الزمن[٢].

امتاز بشغفه الكبير بالمطالعة والدرس، وسعيه الحثيث لتحصيل الثقافة العالية عن طريق المذاكرة والدرس، وقد ساعده على ذلك صبره وجلده، فبدأت معالم نبوغه تظهر في سنٍّ مبكرةٍ، واشتغل بالعلوم الشرعيّة والدراسات الدِّينيّة محقّقًا بذلك أمله واشتياقه الموروث عن والده في تحصيل تلك العلوم[٣].

وفي عام ١٣٤٠هـ قرّر الارتحال إلى مدينة كربلاء المقدّسة قاطعًا «البراري والفلوات، ماشيًا وراكبًا» حتى وصل في ليلة عرفة زار فيها الإمامَين الهمامَينْ عليهما السلام قبل أن يتوجّه إلى النجف الأشرف ليبدأ رحلة جادة ومتواصلة في طلب العلم؛ إذ قرأ أوّلًا المقدّمات على يد السيد محمّد علي التفريشي والشيخ محمّد الأصفهاني والشيخ ضياء الدِّين العراقي، والعلّامة الحجة

السنة التاسعة/المجلد التاسع/العددان الثالث والرابع (٣٣-٣٤)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأوّل ٢٠٢٢م

ميرزا حسن الرشتّي والشيخ محمد رضا النائينيّ والسيد محمد اليزديّ حتى وصل إلى درجة الاجتهاد، فحصل على إجازة الاجتهاد من الميرزا النائينيّ والشيخ ضياء الدِّين العراقي[٤].

وقد تتلمذ في درس رواية الحديث على كثيرٍ من الأساتذة، ومن جملة شيوخه في ذلك العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ، والعلّامة السيد هبة الدِّين الشهرستانيّ، والسيّد شهاب الدِّين المرعشي النجفي رحمهم الله؛ الأمر الذي شكّل دافعًا له لارتياد حواضر العلم للاستزادة في العلم والمعرفة، لتأتي مرحلة كربلاء التي شدّ الرحال إليها مرةً أخرى عام ١٣٦٠ هـ؛ ليحضر فيها دروس كبار علمائها من أمثال السيّد حسين القميّ، والسيد الميرزا علي الشهرستانيّ، والميرزا هادي الخراسانيّ، والسيد الميرزا مهدي الشيرازيّ، وبعد مدَّة من الزمن يكمل مسيرته العلميّة بعد أن نال علمًا كبيرًا وفهمًا واسعًا؛ ليتصدَّى بعده للتدريس مدة طويلة من الزمن؛ إذ كان يعقد حلقات الدرس في مدرسة الهندية صباحًا بعد طلوع الشمس بساعة، ويستمر إلى قبل صلاة الظهر بساعة، ليتخرج عليه جملة من العلماء الفضلاء[٥]؛ الأمر الذي يراه الباحث يأتي مؤيّدًا ومتناغمًا مع ما وصل إليه من علم وفضل استمال بهما يراع من أجازوه.

ومن دلائل فضله وعلمه كان الشيخ الأعلميّ معتادًا أن يصليّ الصلوات الخمس جماعةً، ولا فرق عنده أن يكون إمامًا أو مأمومًا، كما ذكر بأنه «ما صلّى فريضة واحدة منفردًا أبدًا»[٦]،

خلّف الشيخ الأعلميّ جملة من المؤلَّفات التي شكلّت هي الأخرى شاهدًا على براعته في التألّيف والبحث، فكان كتاب (دائرة المعارف الشيعيّة

العامّة) المسمى بـ(مقتبس الأثر ومجدّد ما دثر)[٧] خير شاهد ودليل على ما تمَّ ذكره؛ إذ وصل عدد أجزائه إلى ثلاثين جزءًا[٨]، عرض فيها دراسة أحداث وشخصيّات منسيّة من التاريخ مدعومة بوثائق وأسانيد لم يسبق نشرها، وقام نجله الشيخ حسين الأعلميّ بمساعدة والده في ترتيب الكتاب بحسب الحروف الهجائية، حتى صار بالشكلّ الذي عليه الآن، إذ نال الكتاب إعجاب جملة غير قليلة من كبار العلماء والأدباء والشعراء، ليس أقلّهم ما ذكره الشاعر والأديب السيد عبد الوهاب زيني بقوله:

هذا كتاب نافع للبشر ... سطوره منظومة كالدرر
مبرهن أحوال ما قد غبر ... جاء اسمه مقتبس الاثر.

تنوّعت رحلاته وإقاماته في حواضر العلم والمعرفة، فقد ارتحل مرة أخرى إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام ومكث هناك مدة من الزمن، راجع خلالها مكتبة الإمام الرضا الشهيرة، متفقدًا ما امتازت به من مخطوطات ثمينة، لينتقي منها ما يرضي طموحه في البحث والدراسة، ثم انتقل إلى طهران وراجع مكتباتها العامّة هناك، مثل مكتبة مجلس الشورى ومكتبة الملك وغيرهما مما أفاده في تصنيف سِفره (دائرة المعارف الشيعية العامة)[٩].

ومن آثاره المطبوعة علاوة على ما ذُكر كتاب «تراجم النساء» و«منار الهدى» و«مستدرك الأنساب» قبل أن يلبّي داعي ربِّه في يوم الخميس ٢٦ من شهر ذي الحجة الحرام عام ١٣٩١هـ الموافق يوم ١٧ كانون الثاني ١٩٧٤م، ودُفِنَ بمدينة قم المقدّسة[١٠]؛ مخلّفًا أربعة أولاد؛ هم: الشيخ محمّد حسن الذي انتقل مع والده إلى كربلاء ودرس فيها وفي النجف الأشرف، ليستقر بعدها في طهران، والشيخ محمد حسين سميّ أبيه الذي نال هو

الآخر نصيبًا من دراسته الدينيّة في مدينة كربلاء المقدّسة، وامتاز بنشاطه السياسي المعارض للحكومات في العراق وإيران لِيُنفى على إثرها من العراق عام ١٩٦٦م إلى سوريا، ليستقر به المطاف في لبنان وانحصر عمله بتحقيق الكتب الإسلامية والتراثية ونشرها في مؤسسته المعروفة باسمه[١١].

والشيخ محسن وليد كربلاء الذي سكن بعد إكمال دراسته الأوليَّة في مدينة قم، وأصبح من أعلامها، والرابع والأخير هو علي محمد الملقّب بزين العابدين والذي ولد بكربلاء وانتقل إلى خراسان ليقضي حياته هناك[١٢].

المبحث الثاني

منهج محمد حسين الأعلميّ في كتاب دائرة المعارف

أولًا: وصف الكتاب ودواعي تأليفه:

تحظى دوائر المعارف وكتب التراجم بأهمية كبيرة في الفكر الشيعيّ الإماميّ وتأخذ مساحة ليست بالقليلة في موروثهم الفكريّ، فعلى أساس ذلك شرع الشيخ الأعلميّ بتأليف كتاب موسوعيٍّ من (١٨) جزءًا، يُستَدل من عنوانه على أنَّه دائرة معارف عامة وكبرى؛ ولا يقتصر على ذكر الأئمة الأطهار والصحابة ورجالات الحديث، بل يتسع ليشمل أخبار المذاهب والفِرَق الإسلامية وبعض الحكايات والغرائب والنوادر والحِكَم والألغاز والطلاسم والأسرار والمعارف والمناقب والشمائل وأسماء البقاع والبلدان والاماكن وغيرها من فنون المعرفة[١٣].

بيّن الشيخ الأعلميّ الأسباب التي دعته إلى تأليف الكتاب في أثناء مقدمة الجزء الأول منه[١٤]؛ قائلًا: «أنّني قد نظرت في كتب أصحابنا -رضوان الله عليهم- وموسوعات تراجمهم التي بأيدينا من المصنّفات والمؤلّفات؛ فوجدناها خالية من ذكر جمعٍ من الأعاظم وأعيان الرجال وثقات الرواة... وأنّني -بعون الله تعالى- قد عثرت على جمٍّ غفير في خلال تتبعي وتصفّحي في بعض موسوعات التراجم والتاريخ وكتب الأنساب وغيرها» كلّ ذلك من الأسباب وغيرها ولّدت لدى الشيخ الأعلميّ القناعة بالكتابة في هذا الموضوع بصورة متكاملة كلّما أمكنه ذلك، فعقد العزم، وشمّر عن ساعد

الجدّ والاجتهاد على تأليف كتاب «جدير بالاعتناء، لائق للاقتناء، وسوف يعكف أرباب الفضيلة عليه أيَّما عكوف، ويجدونه خيرًا من سائر المألوف لديهم والمعروف... لأن فيّه من الجواهر العليّة واليواقيت السنيّة، وفيه طرائف لم يّطلع عليها إلّا أولو الألباب»[١٥].

كما بيَّن الشيخ الأعلميّ أثر معاصره العلّامة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي نبّهه لمرور ثلاثة عشر قرنًا من تاريخ الشيعة ملأى بشتَّى أنواع العلوم والفنون والعلماء والعظماء، ما يحتم عليهم أن يتصدّوا لتوثيق كلّ ذلك؛ قائلًا عن لسان كاشف الغطاء «ولقد كان من الحريّ؛ بل اللازم أن يقوم في كلّ عصر بضبط أسماء علمائهم ومؤلفاتهم حتى تتصل سلسلة الأعصار بعضها ببعض، وتعرف مؤلّفات هذه الطائفة»[١٦].

كما لم يخلُ الأمر من شوقٍ داخليّ وباعث نفسيٍّ، دفع الشيخ الأعلميّ لتأليف سِفْره هذا، يؤنسه ويتحفه بطرائف الحِكَم إذا ما احتاج إلى ذلك يومًا، فالكتاب «أنيس المهموم وغنى المفتقر»[١٧].

ثانيًا: الرؤى والمنهج في كتابته:

كان لدراسة الشيخ الأعلميّ الدينيّة التي يعدّ من مرتكزاتها دراسة علوم مختلفة تقع في طريق استنباط الحكم الشرعي أثرٌ في كتابه (دائرة المعارف الشيعيّة العامّة)، إذ لا يخفى أن دراسة عِلْم الحديث والرجال من الأسس التي يعتمدها الفقيه لمعرفة أحكام الشريعة المقدّسة؛ علاوةً على تمكّنه من علوم ومعارف متعدّدة أخرى تجاوزت الرجال المترجَم لهم في موسوعته؛ فاشتمل كتابه على مصطلحات ومعارف وأسماء مدن وقبائل ومختلف الفنون والعلوم، كلّ ذلك سار فيه على وفق آليات وخطوات منهج التاريخ وآلياته[١٨].

لم يدرس الشيخ الأعلميّ عِلْم التاريخ دراسة أكاديميّة متخصّصة تمكّنه من التعرّف على مناهج البحث العلميّ، وأصول الكتابة، والإلمام بمعطيات المنهج ومذاهبه المتنوعة؛ لكنه أخذ على عاتقه ومنذ البداية الكتابة بطريقة علميّة منهجيّة، فيها كثيرٌ من أسس الكتابة الأكاديميّة، وشروط منهج البحث التاريخيّ، المستند إلى الوثيقة الأصلية، والمصدر الأساس، والمرجع الثقة، والرواية الصادقة؛ واضعًا لكلّ ذلك أساسًا لا يحيد عنه وهو التدقيق والتحقيق، ومحاكمة الرواية بروح القاضي العادل الذي يمتلك مقوّمات البتّ في القضايا، فعلى سبيل المثال لا الحصر ناقش الشيخ الأعلميّ حديث أبي ذر رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «يا أبا ذر أوصيك فاحفظ لعلّ الله أن ينفعك به، جاور القبور تذكر بها الآخرة، وزرها أحيانًا بالنهار ولا تزرها بالليل»[١٩] الذي نقله كلّ من القطب الراوندي في دعواته[٢٠]، والشيخ النوري في المستدرك[٢١]؛ إذ بيّن الشيخ الأعلميّ بأنَّ الحديث لم يُذكَر في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي، أو لدى صاحب الوسائل الذي وصفه الشيخ الأعلميّ بأنّه «مقيد بعدم ذكر الأخبار الموهونة الضعاف»[٢٢]، وهو بذلك كان قد ناقش قوّة متن الرواية ومدى وثوقها واعتبارها من بين كتب الحديث الأخرى.

كان اختيار الموضوع الذي يريد الكتابة فيه من مقدّمات ذلك المنهج؛ إذ حرص الشيخ الأعلميّ على أن تكون الموضوعات التي يختار الكتابة فيها ذات طابع نقديّ تنعكس فائدتها على مدى أجيال عدّة، وهذا ما حرص عليه علاوة على تنوّع موضوعاته، وهو أمر جاء بعد اطّلاعه على ما كتب في حقول العلم المتنوعة، وهذا ما اتّضحت ملامحه فيما دوّنه في مقدّمة كتابه «دائرة المعارف»؛ إذ قال ما نصّه: «وليس نظري إلى مجرّد الجمع والتأليف فقط، بل غرضي الجرح والتعديل، بعد إعمال الجهد والسعي إلى ذلك»[٢٣].

ويأتي اختيار العنوان من بين اهتمامات الشيخ الأعلميّ في بحثه التاريخي؛ كونه الدالّ على ما في الكتاب من محتوى وهو الذي يوحي بمضمّونه[٢٤]؛ لذا حرص على أن يكون العنوان واضحًا ومعبرًا عن حقيقة البحث وواقعه[٢٥]؛ لذا نجده قد وضع عنوان كتابه ووسمه بـ «مقتبس الأثر ومجدّد ما دُثِر» لكنه اختصره بعد ذلك ليصبح «دائرة المعارف»، وبحسب قوله بما نصّه: «فجاء كتابي هذا بحمد الله دائرة معارف؛ ودورة عوارف... لأنَّ فيه من الجواهر العليّة واليواقيت السنيّة وفيه طرائف لم يطلع عليها إلّا أولو الألباب»[٢٦].

ثالثًا: عرض المادة التاريخيّة وأسلوب الكتابة:

عرض الشيخ الأعلميّ مادته التاريخيّة في (دائرة المعارف) بطريقة علميَّة راعى فيها جُلّ شروط العرض التاريخيّ المتمثلة باللغة والأسلوب ووحدة الموضوع[٢٧]، مما يسهِّل على القارئ الوصول إلى مبتغاه بكلِّ يسر وبعيدًا عن التعقيد، فتميزت كتابته بالموضوعيّة والأمانة العلميّة؛ منبّهًا في الوقت نفسه على ضرورة أن يكون المؤرِّخ «أمينًا يحدّث بصدق، وينقل برؤية وتثبّت، ويكتب بقلم نزيه، يورد الاشياء كما هي من غير زيادة ولا نقيصة»[٢٨].

وعلى الرغم من اعتماد الشيخ الأعلميّ المنهج الوصفي[٢٩] في سرد الأحداث ألا أنّه لا يستغرق في ذلك، بل كثيرًا ما كان يجمع بينه وبيّن المنهج التحليليّ التعليليّ[٣٠]، ولاسيّما مع الروايات التي تحوم حولها الشكوك؛ إذ يقف منها موقف المدقِّق المتفحِّص، ينقدها داخليًّا وخارجيًّا[٣١]، حتى يخلص إلى النتيجة التي يراها مناسبة، معلِّلًا بعد ذلك ميله للرواية الصحيحة، فيضع تلك الأسباب في نقاط متعددة تعكس رأيه فيها؛ مستندًا إلى الأدلّة التاريخيّة حينًا والعقليّة حينًا آخر، وانسجامًا مع هذا النهج فقد كثرت استنتاجاته التي يبيّن من خلالها رأيه فيما يوردهُ من روايات؛ كي يضع القارئ في حقيقة

الصورة التي يراها للرواية، وهذا ما يشدّ القارئ إلى الحقائق التي يطرحها بعيدًا عن السأم والملل الذي تولِّده التراجم، ومن تلك الاستنتاجات تحليله للروايات التاريخيّة التي تناولت سيرة موسى المبرقع ابن الإمام الجواد عليه السلام التي ذكرت ان (بُرَيْهة) هي إحدى بناته، وهذا ما ذكره صاحب بحار الأنوار[٣٢] وتاريخ قم[٣٣]، في حين رجّح الشيخ الأعلميّ بأن بُرَيْهة هي «أخت موسى المبرقع وليست بنته كما توهم بعضهم»[٣٤] وعلى وفق ما رجَّحه ابن عِنَبه في كتابه عمدة الطالب[٣٥] على اعتبار قِدَمه ووثوق سنده.

كتب الشيخ الأعلميّ بلغة بسيطة وواضحة بعيدة عن العبارات والتراكيب اللغوية المعقّدة، وبأسلوب علميّ راعى متطلبات فنّ الكتابة القائم على الالتزام باللغة العلميّة شكلًا، والفكر المنطقيّ مضمونًا[٣٦]، مع الدقة في صياغة العبارة بما يبعدها عن الألفاظ المجازية، فضلًا عن الوضوح في الأداء الذي يُقرّب ما يطرحه من ذهن المخاطب؛ لتأتي عباراته متسلسلة تقود السابقة إلى اللاحقة لتؤدي إلى فهم صحيح لما يُكتَب.

فنأى بنفسه عمّا يصعب فهمه من العبارات والمصطلحات؛ مستندًا في ذلك إلى مكانته العلميّة، ودراسته الدِّينيّة التي وفّرت له قدرًا كافيًا من العربية؛ صرفًا ونحوًا وآدابًا، فضلًا عن امتلاكه لحافظة قويّة فيما كان يقرأ ويطّلع على كثير من مصادر كتبه؛ إذ كتبت هذه المصادر بأساليب متعددة، لمؤلّفين اختلفوا في الفكر والأسلوب والزمان، مما أكسبه خبرة في مجال الكتابة التاريخيّة وزاد في صقل موهبته الكتابيّة، فجاء أسلوبه بما يسمى بـ(السهل الممتنع)[٣٧]، وهو ما مكّن قرّاءه من الفهم وإدراك لما كان يورده في دائرة المعارف.

وكانت الاستشهادات بآيات من الذكر الحكيم والحديث الشريف، ميزة

أخرى امتاز بها أسلوب الشيخ الأعلميّ، ولا سيِّما عندما يناقش الروايات التاريخيّة ويحاكمها، فتأتي تلك الاستشهادات منسجمة مع ما كان يطرح، فعلى سبيل المثال لا الحصر وفي مقام حديثه عن الجن ومدلولات وجوده وأبرز الأخبار الواردة ببيان ماهيّته ومراتبه، أورد جملة من الآيات القرآنيَّة المباركة والأحاديث الشريفة التي توضِّح بالإثبات والنفي ما ورد بهذا الخصوص[٣٨].

وشكَّلت الأبيات الشعريَّة إحدى سمات أسلوبه في معالجة الأحداث التاريخيّة، فكثيرًا ما كان يورد العشرات من الأبيات الشعريَّة التي تأتي متناغمة مع الحدث المراد معالجته أو الشخصيّة المراد ترجمتها، وقد أجرى الباحث إحصاءً لعدد الأبيات الشعريَّة في دائرة المعارف بمجلّداته الثمانية عشر فوجدها قد بلغت (٢٠٤٥٠) بيتًا شعريًّا؛ مما يرتقي بالكتاب إلى مصافِ دواوين الشعر ذات الهدف والمغزى العميق، وضعناها بجدول يحمل الرقم (١).

جدول رقم (١) إحصائيّة بعدد أبيات الشعر في كلّ مجلّد[٣٩].

رقم الجزء	عدد الأبيات الشعريّة		رقم الجزء	عدد الأبيات الشعريّة
الأول	١٥٦٣		العاشر	٦٨٧
الثاني	٣٨٨		الحادي عشر	١٠٤٣
الثالث	٨٧٠		الثاني عشر	٢٣٦
الرابع	٣٢١٢		الثالث عشر	١٤٢٤
الخامس	١٨٧٣		الرابع عشر	٧٧٦
السادس	٧٠٩		الخامس عشر	١١٥٧
السابع	٥٩١		السادس عشر	١٣٢٦
الثامن	١١٥٤		السابع عشر	١١٦٢
التاسع	٦٥٥		الثامن عشر	١٦٢٤

و يتَّضح من الجدول بأنَّ الجزء الرابع قد ضمَّ أعلى نسبة من أبيات الشعر التي بلغ عددها (٣٢١٢) بيتًا شعريًا، وذلك لأنَّه أكثر فيه من ذكر الشواهد الشعريَّة، وبالأخصِّ تلك التي حملت بين طيَّاتها مجرّبات طبّية لابن سينا، فكان لها الحصة الأكبر من بين الشواهد الباقية، وبعدة صفحات تجاوزت الخمسين صفحة[٤٠].

وكان لأسلوبه الأدبي نكهته المميّزة؛ إذ استثمر إمكاناته الأدبيَّة ومقدرته الشعريَّة ليوظفها في عرض مادة الكتاب، فاتسمت بسلاسة الألفاظ ووضوحها، وجزالة العبارات؛ فكان أُسلوبه ممتعًا غير مملٍّ، وبعيدًا عن التحيِّز أو الانحياز إلَّا لما هو «حقيقي» و«موضوعي» دونما إخلال في المعنى؛ إذ يقول في هذا الخصوص «كان إيجاز الألفاظ اطناب المعاني، واحتوى على مهمّات الضوابط مع سهولة المباني»[٤١]، كما كانت أبياته حاضرة في غير مناسبة في أثناء الكتاب، فعلى سبيل المثال وفي معرض وصفه لمضامين كتابه محل الدراسة قال[٤٢]:

فهو كتاب حسن تَحارُ فيه الفطن
أنفقت فيه مدة عشرين عامًا عدة
انفذته مع ولدي بل مهجتي وكبدي
مشقة شديدة وشقة بعيدة

وفي ختام كتابته رجا رحمة ربه وثواب آخرته بقوله[٤٣]:

أريد بذاكم أن تهشوا لطلقتي وأن تكثرا بعدي الدعاء على قبري
وأن تمنحوني في المجالس ودكم وإن كنت عنكم غائبًا أحسنوا ذكري.

وفي السياق نفسه يمكننا تلمُّس الملازمة الشعريَّة بوصفها شاهدًا على ما يورده من معلومات وأفكار؛ الأمر الذي أحال بعض أجزاء كتابه إلى ديوان

السنة التاسعة/المجلد التاسع/العددان الثالث والرابع (٣٣-٣٤)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأول ٢٠٢٢م

شعري، لكثرة ما ورد فيه من استشهادات شعريّة، فعلى سبيل المثال وفي سياق ذكره للمجربات الطبّيّة والروحيّة لابن سينا؛ مترجمًا ومصنفًا إيَّاها على موضوعات فرعية تأتي برمتها متناغمة مع حاجة الانسان لها وفي مختلف فروع الغيبيات والعلوم الطبّيّة، ليخصص الشيخ الأعلميّ ما يزيد على المائة صفحة في تصنيفها شعرًا، نُسِبَ كلّه لابن سينا[٤٤]. منه قوله في مطلعه[٤٥]:

الحمد لله القديم الأزلي سبحانه من مَلك لم يزلِ
جلَّ عن الأمثال والأنداد من رفعه السبع بلا عماد
ليس له في خلقه نظير كلّا ولا ندٌّ ولا شبيه

ولم يكن التاريخ الشعري غائبًا عن الشيخ الأعلميّ في إطار توثيقه لسيرة آل البيت عليهم السلام، فقد ذكر في صفحات طوال سيرة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وكما جاءت على لسان الحر العاملي في منظومته والآخوند علي نقي في منظومته والميرزا يوسف المرندي في قصيدته؛ إذ كانت لأبياتهم حسًّا تاريخيًّا وثقوا من خلالها سيرته عليه السلام العطرة[٤٦].

إن من الأخلاق العلميّة التي اتصف بها الشيخ الأعلميّ، التي حُسِبتْ وأُضِيفَتْ لرصيد منهجه العلمي بوصفه مؤرخًا، هو تواضعه في كلّ ما كتب من هذه الموسوعة، على الرغم من سعة حجمها وشموليتها، وأنه أنجزها بمفرده ومن دون مساعد، مما ينم عن كفاءة علمية ومقدرة فكريّة وثراءٍ معرفيّ، لم تحرك فيه حبّ الذات ليدعي أنّه قد أنجز ما لم يستطع غيره إنجازه، أو أنّه قد وصل بها إلى مستوى لا يرقى إليه النقد، بل قال وبكلّ تواضع: «فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن -يقصد كتابه- ورأى فيه خللًا فهو المثاب في إصلاحه»[٤٧]. وهذا من السمات العلميّة البارزة فيه.

لقد توّجَ الشيخ الأعلميّ تواضعه العلميّ -عندما أقرَّ باستحالة الوصول

إلى الكمال فيما يكتب ويقدّم- بالتماس الأعـذار من الله أولًا والقارئ الكريم ثانيًا فيما إذا صادف هنات وأخطاء هنا وهناك، فقال «تحرّيت فيه حسب ما وصلت القدرة عليه، ومن أين لي ذلك من هذه العلوم قدر منزور، والمتشبع بما لم يعطِ كلّابس ثوبي زور، وحرسنا الله من التردّي في مهاوي الغواية، وأسأل الله ﷻ أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، مصونًا عن نظر المتعصّبيّن»[٤٨].

ومن الجدير بالذكر كان الغالب على تراجم الشيخ الأعلميّ عدم ذكره لصفات المكانة الاجتماعية للمترجَم له مثل: (الإمام) و (السيد) و (المولى) و(آية الله)[٤٩]، كما لا يذكر الألفاظ الدالة على المناصب الرسمية والدِّينية في بدء الترجمة التي لا تحمل صفات المكانة الاجتماعية مثل: (الشاه) و (الملك) و (السلطان) و (الوزير) و (القاضي)[٥٠]، ليأتي بعد ذكر الاسم مجردًا لقب المترجَم كقوله: (الشيبانيّ) و (الكنديّ) و (الحميريّ)[٥١] وأحيانًا يذكر بعد الاسم الكامل ما اشتهر به من مؤلَّفات مسبوقه بكلّمة «صاحب» من أمثال «صاحب هبة الأنام»[٥٢] و«صاحب كتاب النفيس»[٥٣].

رابعًا: قراءة في موارد كتاب دائرة المعارف:

تشكّل المصادر أهمية كبيرة في مسيرة البحث العلمي؛ بوصفها الركيزة الأساسيّة في تنفيذ خطة البحث التي يضعها الباحث، فضلًا عن أنّها تعطي فكرة عامة عن العصر الذي يتناوله موضوع البحث[٥٤]، إذ إنّ فكرة البحث لا يمكن إيجادها في مصدر واحد، أو عدد من المصادر، بل إنَّ تمكن الباحث من موضوع بحثه يكمن في الكمّ والنوع الذي يستطيع الحصول عليه من المصادر التي يمكن له من خلالها أن يرفد فكرة بحثه وينمّيها ويطوّرها[٥٥].

أدرك الشيخ الأعلميّ بفكر واعٍ وبصيرة ثاقبة، ما تنطوي عليه المصادر من أهميّة في موضوع دراسته، فطاف البلدان[٥٦]، وتنقّل بين المكتبات جامعًا ما يتعلّق بموضوع بحثه من الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع، لا تثني عريكته طول مسافة أو مشقة طريق.

فبحث بين الوثائق والمخطوطات، وكتب التراث الإسلامي، والكتب الحديثة والمعاصرة، فتمكن من خلال ذلك الجهد أن يرفد دراسته بـ عدد غفير من المصادر والمراجع؛ اختلفت أماكن وجودها، وتنوعت استفادته منها.

المبحث الثالث: أضواء على معالجات كتاب دائرة المعارف وموضوعاته

أولًا: لمحات اجتماعية في موضوعات الكتاب:

مضى القول في مباحث سابقة أنّ كتاب دائرة المعارف هو موسوعة معرفية وفكرية شاملة؛ انطوت على جوانب اجتماعية كثيرة، وعلى العديد من الموضوعات المعرفية والفكريّة، وكان من بين تلك الموضوعات التي سلَّط الشيخ الأعلميّ الضوء عليها بالتوضيح والتعليق الجوانب الاجتماعية التي جاءت في سياق ترجماته للأشخاص والقبائل والمدن وغيرها من المصطلحات المتنوعة.

بيّن الشيخ الأعلميّ بصفحات طوال، جملة من الجوانب الاجتماعية التي جاءت في سياق حديثه عن أجناس المخلوقات في البر والبحر، وبيّن وبتفصيل وافٍ أبرز الأعراق الأنسية التي تعيش على أرضنا، بالتأسيس على حديث الإمام الهادي عليه السلام «إن جميع التُرْك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والصّين كانوا من ولد يافث»[٥٧]، عاطفًا عليه في السياق نفسه رواية أبي الفداء في كتابه أخبار البشر قوله: «فجميع من في الأرض الآن من ولد نوح عليه السلام، فسام أبو العرب والروم والفرس، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك ويأجوج وماجوج والقبط والفرنج»[٥٨]، ليبدأ بعدها بذكر الحياة الاجتماعية لكلّ منهم؛ عارضًا لألوان بشرتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وطبيعة أكلّهم وملبسهم، ومناطق انتشارهم في قارات العالم المختلفة، وعائديّة كلّ ذلك على تركيبتهم البايلوجية، فمثلًا يذكر في هذا الخصوص «وإذا بحثنا في

سكان الأقاليم المعتدلة كالمغول الشماليين والفرس والأرمن والأتراك والكرج وأوربا نرى أنَّهم أجمل البشر وأشدهم بياضًا، وأكملهم بنية، وأقبلهم تمدّنًا... وأنَّ للإقليم تأثيرًا عظيما في اللون والعادة، لكن توجد أسباب أخرى تؤثر في البنية والأخلاق وأهمها الأطعمة وكيفيّة المعيشة... إلخ»[٥٩].

كان من بين الجوانب الاجتماعية التي عرض لها الشيخ الأعلميّ ما أورده في سياق تعريفه بسعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور؛ المكنّى بأبي عثمان الواعظ، من عبرةٍ ذات مغزىً اجتماعي عميق، تمثّل بالإيثار ونكران الذات اللذين يرتقيان بصاحبهما إلى مصاف عليا في تزكية نفسه؛ إذ فصَّل الواعظ في ذكر قصّة زواجه من امرأة من أهل الرَّي قائلًا:

«كنت بالري فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبًّا ذهب بنومي وقراري، وأنا أسألك بمقلِّب القلوب أن تتزوج بي... إلى أن يقول: فتزوجت بها، فلمّا دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء مشوّهة الخَلْق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدّرته لي، وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك، فأزيدها برًّا وإكرامًا... وبقيت على هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئًا من ذلك إلى أن ماتت، فما من شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي»[٦٠].

يرى الباحث أنّ حفظ كرامة المرأة، واحدة من أهمّ مقوِّمات المجتمع الإسلامي الصحيح، الذي يأتي بدوره متناغمًا مع وصيّة الرحمن ﷻ؛ إذ قال في محكم كتابه العزيز ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٦١]، وهو عين ما أوصى به الرسول الكريم ﷺ بحديثه قائلًا: (أوصيكم بالنساء خيرًا فإنّهن عندكم عوان)[٦٢].

ثانيًا: دراسة أولية في معالجاته المعرفية والفكريّة:

مضى القول في مباحث سابقة أن كتاب (دائرة المعارف) موسوعة معرفية وفكرية شاملة، ضمّت إلى جانب التراجم العديدة، الكثير من الموضوعات المعرفية والفكريّة في مختلف الاختصاصات الإنسانية، وكان من المعارف العامة التي اهتم بنشرها الشيخ الأعلميّ في كتابه، وعلى سبيل المثال هو ما أورده من تفصيلات معرفية منوعة عند ترجمته لمعنى (الكوفة) وتاريخها؛ إذ تجاوز ما اعتادت عليه الموسوعات البلدانية من ذكر الموقع والمؤسس إلى غير ذلك من التفصيلات، بل تعدى ذلك إلى ذكر جميع الصحابة الذين نزلوا بها مفصّلًا اياهم بجدول ضمّ (١٣١) صحابيًّا، ليردفه بآخر ضمّ (٧٠) أميرًا من أمراء أهل الكوفة، وآخر اشتمل على ذكر (٣٨) من قضاة الكوفة، ورابع ضمّ (٢٠) من نقباء الكوفة، وخامس ضمّ (٧٤) من شعرائها، وسادس ضمّ (٤٧) من لغويّيها، وسابع احتوى على ذكر أسماء (٥٠) من نحاتها، وبيَّن في عقب كلّ ذلك أبرز البيوتات والأعيان والرجال في الكوفة، مميِّزًا العلويين من غيرهم[٦٣].

أوضح الشيخ الأعلميّ في باب تعريفه بـ (القرآن الكريم) جملة من المعارف العامة المتعلقة بأسباب نزول الآيات القرآنية، وأقسام القرآن الكريم التي حددها بسبعة أقسام، فمنها «الأمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص»، وفيه «ناسخ ومنسوخ» و«محكم ومتشابه» و«خاص وعام» و«مقدم ومؤخر» و«عزائم ورخص» و«فرائض وأحكام» و«منقطع معطوف ومنقطع غير معطوف»[٦٤] وغيرها من المضامين البلاغية التي احتوتها سوره الكريمة.

كلّ ذلك وغيره مما يصل بالبحث إلى مصافٍّ كتب المعرفة المتخصصة التي لا تقتصر على ذكر تعريفات أو ترجمات مختصرة مثلما اعتادت عليه الموسوعات الأخرى، مما يجعل الكتاب دائرة معارف حقيقية بلحاظ ما تم

التعريف به من مصطلحات زاد عددها على عشرات الآلاف وكما مبيّن في الجدول رقم (٢).

وأردف الشيخ الأعلميّ كلّ ذلك ببيان أنواع الكلّام الواردة في سور القرآن الكريم التي قسمها على عشرة أنواع؛ فمنها «الثناء عليه سبحانه» و«حروف التهجي» و«القسم» و«النداء» و«الجُمل الخبرية» و«الأمر» و«الاستفهام» و«الدعاء» و«التعليل» و«الشرط»[٦٥].

ثمَّ ختم بيان معارف كتاب الله الكريم بذكره الحكمة في نزوله وأبرز الآراء الواردة في ذلك، وبيان تسلسل نزول السور القرآنية حسب ترتيب زمني بالاعتماد على رواية جابر بن زيد[٦٦].

وختم حديثه ببيان ثواب قراءة كلّ سورة من سور القرآن الكريم، وأبرز القراءات القرآنية وأهمّ الآراء الواردة في ذلك الخصوص[٦٧].

جدول رقم (٢) عدد المصطلحات المترجم لها في جميع أجزاء دائرة المعارف.

رقم الجزء	العدد
الأول	٤٤٠
الثاني	٣١٩٤
الثالث	١٤٦٣
الرابع	٣٥٦
الخامس	٥١٩
السادس	٢٧٣٥
السابع	٣٢١٨
الثامن	٣٦٧٢
التاسع	٢٥٦٥

رقم الجزء	العدد
العاشر	٤٦٤٠
الحادي عشر	٢٥٥٨
الثاني عشر	٥٠٠٨
الثالث عشر	٣٦٧٧
الرابع عشر	٢١٠٠
الخامس عشر	١٢٧٤
السادس عشر	٥٢٥٧
السابع عشر	٢٧٩٤
الثامن عشر	٣٥٣١

بلغ مجموع ما عرّف به الشيخ الأعلميّ من مصطلحات باختلاف انواعها (٤٩٠٠١) مصطلح، مما يضع الباحث أمام موسوعة معرفية كبرى قل نظيرها[٦٨] بلحاظ شموليتها على الأعلام والمفاهيم الفقهية واللغوية والأحداث التاريخيّة والتفرعات الجغرافية مع ما يضاف إليها من أبواب علمية صرْفة، وهو أمر قل جمعه ومن ثم تشابهه مع باقي الموسوعات ودوائر المعارف.

وجاء الجزء السادس عشر مشتملًا على ترجمة (٥٢٥٧) مصطلحًا، وهو الأكثر بين نظيراته، وذلك بحكم اختصاصه بترجمة حرف (الميم) الذي تعدّاه إلى الجزء السابع عشر، في حين احتل الجزء الرابع أقل مرتبة من ناحية عدد المصطلحات الـمُترجمة، والذي يأتي متناسبًا عكسيًا مع كثرة عدد الأبيات الشعريّة الواردة فيه التي جاء ذكرها على حساب عدد المصطلحات.

وشملت اهتمامات الشيخ الأعلميّ أيضا متابعته لمختلف التفصيلات العلميّة التي تتعلّق بمضامين حرف بعينه، كما جاء في مضامين حرف الألف على سبيل المثال لا الحصر؛ إذ ترجم فيه بصفحات عديدة لـ (أنف) مبيّنًا وظيفته وشكلّه التشريحي وأهم الأمراض التي تصيبه وتؤثر فيه كالزكام والرعاف وغيرها، وأبرز العلاجات الخاصة التي تأتي في سياق الخبرة والتجربة المتواترة[٦٩].

وكذلك الحال مع ما جاء في حرفي (الخاء) و (الدال) اللذين اشتملا بين طيّاتهما على جملة غفيرة من المصطلحات العلميّة التي تشكلّ بمجموعها معينًا معرفيًا لأصحاب الاختصاصات العلميّة الصرفة أمثال (الخفّاش)[٧٠] و (الخشخاش)[٧١] (الدواء)[٧٢] و (الدورق)[٧٣] وغيرها.

السنة التاسعة/المجلد التاسع/العددان الثالث والرابع (٣٣-٣٤)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأول ٢٠٢٢م

ولم يكن تعريفه للـ (كيمياء) ببعيد عمَّا ذكر سابقًا في الجزء الخامس عشر من الكتاب[٧٤]؛ إذ بيَّن تعريفاتها في أبرز كتب الموسوعات؛ مسلطًا الضوء على أبرز أحاديث المعصومين عليهم السلام في شرح ماهيّة هذا العلم وخصوصيته، فأورد مثلًا حديث أمير المؤمنين عليه السلام عندما سُئِل هل الكيمياء تكون؟ قال عليه السلام: «كان وهو كائن وسيكون، فقيل من أي شيء هو؟ فقال إنّه من الزئبق الرجاج والحديد المزعفر وزنجار الأخضر الحبور»[٧٥]؛ إذ يرى الباحث أنّ استشهاد الشيخ الأعلميّ بأحاديث أهل البيت عليهم السلام، متأتٍ من قناعاته الشرعية التي بُنيَت على أساس دراسته الحوزوية، بأن خير معين للعلوم (ومنها الصِّرفة) هو كلام المعصوم الذي ينأى عن الزلل.

ثالثًا: قراءة في رؤاه ومعالجاته في موضوعات تاريخية:

كان الوصول إلى الحقيقة غاية جهود الشيخ الأعلميّ؛ باحثًا عنها ومتقصّيًا طرق الوصول إليها، ومبتعدًا بها عمّا يشوِّه الحقيقة لخلوّها من ضوابط البحث والتنقيب، ومسوغًا في الوقت نفسه النقص في كتابات الأسلاف الماضين بأنهم حازوا قصب السبق في عملهم هذا " لأنهم فتحوا علينا باب البحث... ولهم الفضل والمنّة علينا في ذلك»[٧٦].

وبيَّن الشيخ الأعلميّ أنَّ دراسة التاريخ مهمة شريفة، والبحث فيه غاية نبيلة، منطلقًا في قناعته هذه من كون أنَّ «التاريخ هو الذي يصف لنا الأمم والشعوب، وهو الذي يقصُّ علينا أخبار الماضين، وهو الذي يعطينا صورة ملموسة عمّا وصلوا إليه من الرقي أو السقوط، وما اتصفوا به من حيث السياسة والدِّين أو الأدب أو غير ذلك»[٧٧].

وفي إطار اهتماماته بالتاريخ وكتابته بالطريقة التي تضمّن أكبر قدر ممكن

من الفائدة المتوخاة، لم يغفل الشيخ الأعلميّ دور المؤرخ الثبْت الذي يزيد من فائدة التاريخ إذا كان «أمينًا يحدِّث بصدق، وينقل برؤية وتثبّت، ويكتب بقلم نزيه، يورد الأشياء كما هي من غير زيادة ولا نقيصة»[٧٨]، وهو بذلك قد حدد المعطيات الأساسية التي يمكن من خلالها الوثوق بالكتابة التاريخيّة بعد أن بيّن أهمية التاريخ ومسؤولية المؤرخ.

ومن الجدير بالذكر أنّ عددًا كبيرًا جدًا من تعريفاته لمختلف المصطلحات التي جاء مليئًا بالتفاصيل التاريخيّة التي عرضها الشيخ الأعلميّ بطريقة تتضمّن جل متطلبات البحث التاريخي والمشتملة على الاستعراض المنطقي للحدث التاريخي بالاعتماد على المصدر الثقة والمؤرخ الثبْت، فعلى سبيل المثال لا الحصر وفي سياق ترجمته لهشام بن الحكم الكندي؛ أحد أصحاب الإمامَين الصادق والكاظم عليهما السلام، أورد الشيخ الأعلميّ مجموعة روايات تاريخية تتحدث عن نَسَبه وأصله ومسكنه بالاعتماد على رجال الكشّي الذي لم يغفل حتى تعدد طبعاته؛ مبيّنًا أن ذكر أخبار هشام بن الحكم جاءت في الطبعة الأولى من رجال الكشّي في صفحة (١٤٥) وفي الطبعة الثانية في ص(٢٢٠)[٧٩] الأمر الذي يدلّل على حرصه في تتبع المعلومة نفسها في طبعات مختلفة؛ خشية أن يجري عليها بعض التحقيق فيكون نصيبها الزيادة تارة والنقصان تارة أخرى.

لم يكن الشيخ الأعلميّ في ترجمته للأعيان بناقل من المصادر فحسب، بل كان ناقدًا لمادتها ومدققًا فيما تورده تلك المصادر، فينقد رواية، ويعترض على معلومة، ويعلّق على أحداث لا يراها منسجمة مع الدليل التاريخي، أو متقاطعة مع العقل والمنطق، حتى عُدَّت تلك التعليقات من سمات المنهج

السنة التاسعة/المجلد التاسع/العددان الثالث والرابع (٣٣-٣٤)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأول ٢٠٢٢م

التاريخي له، فعلى سبيل المثال وفي سياق ترجمته لسُلَيم بن قيس الهلالي العامري، بيّن الشيخ الأعلميّ مغلوطية بعض الروايات التاريخيّة التي ذكرت بأنه قد روى عن الأمام الصادق عليه السلام؛ كونه لم يدركه، وبالاعتماد على أمّات المصادر الرجالية التي تؤكد أنّه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده ولده الإمام الحسين عليه السلام؛ معتمدًا في الوقت نفسه على رجال الشيخ الطوسي[٨٠] ورجال الكشي[٨١] كأنموذج أثبت من خلاله صحبته للإمامين أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام[٨٢].

كما كان التاريخ حاضرًا في مواضع تعريفاته الكثيرة بالمصطلحات المنوّعة؛ فمنها مثلًا وفي تمام تعريفه لـ (مواعظ)، أطنب الشيخ الأعلميّ في إيراد الشواهد التاريخيّة التي تعزز مشروعيَّة المصطلح ودلالته بـ (٣٠) صفحة، جاءت شاملة وافية بالأسانيد التي تؤسس لمشروعية الموعظة بوصفها مفهومًا أخلاقيًا في الإسلام، لتأتي بعدها أبرز النكات التاريخيّة التي زخرت بها متون المصنفات التي استندت إلى القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة، مثل سِيَر الأنبياء عليهم السلام، وغيرها من القصص ذات العبرة الآخروية بلحاظ ما جرى من ثواب وعقاب على مختلف أصناف القوم[٨٣].

كما بيّن الشيخ الأعلميّ جملة غفيرة من روايات أهل البيت عليهم السلام ذات الطابع التوعوي، التي عرضها بتسلسل تاريخي ينم عن خبرة ودراية بفنون الصنعة؛ فمنها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد على لسان سعيد بن المسيّب[٨٤]، قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس ويزيدهم في الدنيا ويرغّبهم في أعمال الآخرة في كلّ جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله»؛ موردًا كامل خطبته عليه السلام كأنموذج لصور الوعظ من ذوات العصمة والكرامة عليهم السلام[٨٥].

ومن الجدير بالذكر أنّ تتابع الأحداث التاريخيّة التي تنبئ خلال الاطلاع عليها بمدى براعة قلم كاتبها بالتحليل والمقارنة والتعليل، وهي أدوات المؤرخ التي لا غنى له عنها عند كتابته التاريخ، كلّ ذلك كان حاضرًا عند الشيخ الأعلميّ من خلال تعريفه بالأعلام، فمثلًا وعند عروجه إلى سيرة حياة الأنبياء، وظّف التاريخ لخدمة قضية الرُّسُل وعلاقتهم برعيّتهم وما تجشموه في سبيل إيصال رسالة السماء إلى من كُلّفوا بهدايتهم[٨٦]، فجاءت تعريفاته بهم بالطريقة التي توحي للقارئ بأن ثمة كتابًا متخصصًا بالتاريخ بين يديه.

ولإيراد دليل على ذلك، نذكر مثالًا: وهو ما جاء في سيرة نبي الله موسى عليه السلام؛ إذ استعرض الشيخ الأعلميّ بصفحات طوال سيرته العطرة مبتدئًا باسمه المركب من اسمين بالقبطيّة، فمو هو الماء وسا الشجر، وسُمِّي بذلك لأنّ التابوت الذي كان فيه موسى عليه السلام وُجِد عند الماء والشجر[٨٧].

استطرد الشيخ الأعلميّ في ذكر الأخبار المتتالية من حياة نبي الله موسى عليه السلام[٨٨]، منذ ولادته، إذ أُخفيَ عن جلاوزة فرعون، وهنا كانت الآيات القرآنية التي أردفها تباعًا شاهدًا ومؤيدًا للحالة التاريخيّة التي يستعرضها، فاستشهد الشيخ الأعلميّ هنا بقوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[٨٩]، وقَذْف والدته له في التابوت، وإلقاء الأخير في البحر، بعد أن خافت عليه من فرعون، ومعاناة والدته من بني إسرائيل، وحصول امرأة فرعون عليه وتربيته له، ورجوعه لأمة كي ترضعه، حتى اصطفاه الله نبيًا وخروجه من مصر إلى مِدْين، وغرق فرعون وأصحابه، ووفاة موسى عليه السلام بحسب رواية الإمام الصادق عليه السلام، وإخبار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن مكان قبره[٩٠].

السنة التاسعة/المجلد التاسع/العددان الثالث والرابع (٣٣-٣٤)
شهر جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأوّل ٢٠٢٢م

الخاتمة

١. امتازت جهود الشيخ الأعلميّ في مضمار البحث والتأليف بكونها جاءت متطابقة في إيقاعها مع كونه رجلًا حوزويًا درس العلوم الشرعيّة المتنوعة التي جعلت منه باحثًا جادًا؛ ساعيًا وراء استقصاء الحقيقة التاريخيّة من مظانها الأساس، والكتابة بـحِرَفيّة عالية؛ شكلّت بمجملها سُبُلًا سعى إلى اتخاذها منهجًا «فاعلًا» في كتاباته، فكان كتاب «دائرة المعارف الشيعية العامّة» أنموذجًا أمثل لهذا المنهج.

٢. عرض الباحث أيضًا منهج الشيخ الأعلميّ في الكتابة التاريخيّة الذي وجده منهجًا علميًا فيه كثير من مزايا منهج البحث العلمي وآلياته؛ إذ خرج به عن السردية إلى التعليل والتحليل للمعلومة والرواية التي يوردها، فجاءت مادته بأسلوب السهل الممتنع البعيد عن غامض العبارات مع تجرد في الكتابة إلى حد كبير نقلت الشيخ الأعلميّ إلى مصافي كتّاب التاريخ الذين لا يدّعُون لأعمالهم الكمال.

٣. تأسيسًا على ذلك امتاز كتاب دائرة المعارف بأنّه قد كُتِب بأسلوب علميّ أدبيّ وبطريقة منهجية؛ راعى فيها المؤلف كثيرًا من قواعد الكتابة على وفق منهج البحث العلمي، ما خلا بعض ما أشره الباحث من هنات -بحسب وجهة نظره- وقع بها الشيخ الأعلميّ أمثال عدم إسناد عدد غفير من المصطلحات لمصادرها المستقاة منها، مع عدم وجود ثبت بالمصادر والمراجع التي يراها الباحث ضرورية للوقوف على المادة الأساس التي اعتمدها الشيخ الأعلميّ في كتابه.

الهوامش

١. كان منها كتاب: «أعلام النساء» و«أعلام الشعراء» و«كتاب السادات» و«تاريخ كربلاء» و«تراجم الرجال» و«خلاصة رجال الطوسي» و«الكشكول» و«كتاب الشيوخ» و«منار الهدى». ينظر. معجم المؤلفين العراقيين: ٣/ ١٥٠.

٢. تراث كربلاء: ٣٣٧.

٣. دائرة المعارف: ١/ ٣.

٤. طبقات أعلام الشيعة: ١٤/ ٨٩٣.

٥. كنجينة دانشمندان: ٢/ ٧٧.

٦. دائرة المعارف: ١/ ٦.

٧. المصدر نفسه: ١/ ٦.

٨. تكونت النسخة التي اعتمدناها بالدراسة من ثمانية عشر مجلدًا بطبعتها الثانية، ولعلَّها عُدِّلت ونُقِّحت وجُمِعت بهذا العدد.

٩. معجم المؤلفين: ٣/ ١٥٠.

١٠. فهرس التراث: ٧٦٢.

١١. كنجينة دانشمندان: ٢/ ٧٨.

١٢. دائرة المعارف: ١/ ٨-٩.

١٣. المصدر نفسه: ١/ ١٨-١٩.

١٤. ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٢- ٢٤.

١٥. المصدر نفسه: ١/ ٢١.

١٦. المصدر نفسه: ١/ ٢٣-٢٤.

١٧. المصدر نفسه: ١/ ٢٦.

١٨. عن منهج البحث التاريخي وشروطه وآلياته ينظر: التاريخ فكرًا ومنهجًا: ٣٣-٣٥؛ أصول البحث: ١٤٧-١٤٩.

١٩. دائرة المعارف: ١./ ٢٣٧.

٢٠. ينظر: الدعوات: ٢٧٧.

٢١. ينظر: المستدرك: ٢/ ٣٦٣.
٢٢. دائرة المعارف: ١٠/ ٢٣٧.
٢٣. المصدر نفسه: ١/ ٢.
٢٤. شبّه الدكتور أحمد شلبي العنوان ودقة اختياره، باللافتة ذات السهم التي ترشد السائرين للوصول إلى هدفهم. ينظر: كيف تكتب بحثًا أو رسالة: ٤٧.
٢٥. عن أهمية اختيار العنوان ينظر. أصول البحث: ٢٥٥.
٢٦. دائرة المعارف: ١/ ٢١.
٢٧. عن شروط العرض التاريخي للمادة وأهمية التزام الباحث بها، ينظر. منهج البحث التاريخي: ١٩٧-١٩٨.
٢٨. دائرة المعارف: ١/ ٢١.
٢٩. عن المنهج الوصفي وماهيّته وتطبيقاته ينظر: منهجية البحث العلمي: ٥.
٣٠. عن المنهج التحليلي التعليلي ينظر: كلّمة في تعليل التاريخ: ٢٩.
٣١. عن النقد الداخلي والخارجي للروايات ينظر: طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار: ٧٩-٨٠.
٣٢. ينظر: بحار الأنوار: ٥/ ١٦٠.
٣٣. ينظر: تاريخ قم: ٢١٥.
٣٤. دائرة المعارف: ٥/ ٥٠٣.
٣٥. ينظر: عمدة الطالب: ١٩٩.
٣٦. عن الأسلوب العلمي ومقوماته ينظر: عبد الهادي الفضلي، أصول البحث، ٢١١.
٣٧. السهل الممتنع: أحد أساليب الكتابة عند العرب الذي يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنّه قادر على الإتيان بمثله، فإذا أراد الاتيان بمثلهِ عزَّ عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يناله. وهو أسلوب القرآن الكريم نفسه، ومنه في أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الشيء الكثير. ينظر: معجم النقد العربي القديم: ٢/ ٥.
٣٨. دائرة المعارف: ٧/ ٣٢٧-٣٥٤.
٣٩. الجدول من إعداد الباحث من خلال إحصاء أجراه لعدد أبيات الشعر في كتاب دائرة المعارف.
٤٠. ينظر: دائرة المعارف: ٤/ ٧٧-١٢٨.

٤١. المصدر نفسه: ١/ ٢١.

٤٢. المصدر نفسه: ١/ ٢١ – ٢٢.

٤٣. المصدر نفسه: ١/ ٢٢.

٤٤. ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ١٧-١٢٦.

٤٥. المصدر نفسه: ٤/ ١٧.

٤٦. ينظر: المصدر نفسه: ١٣/ ٢٠٦-٢١٩.

٤٧. المصدر نفسه: ١/ ٢٢.

٤٨. المصدر نفسه: ١/ ٢٢.

٤٩. المصدر نفسه: ١٣/ ١٧٢.

٥٠. المصدر نفسه: ١١/ ٦٢.

٥١. المصدر نفسه: ١/ ٣٥٨.

٥٢. المصدر نفسه: ٦/ ١٠٩.

٥٣. المصدر نفسه: ١٨/ ٣٩٤.

٥٤. عن أهمية المصادر في البحث العلمي وكيفية جمعها والاهتمام بها، ينظر: منهج البحث التاريخي: ٦٧.

٥٥. عن كيفية جمع المصادر وتوظيفها بما ينمي فكرة البحث العلمي، ينظر: التاريخ فكرة ومنهجًا: ٥٩-٦٧.

٥٦. توزعت مصادر الشيخ الأعلميّ على مكتبات إيران والعراق ومصر والهند، التي ضمّت بيّن جنباتها مخطوطات نفيسة وآثارًا قيّمة في مختلف الموضوعات التاريخيّة واللغوية والأدبية والتفاسير والأحاديث والتراجم وغيرها، محتفظًا بها جميعًا في مكتبة المدرسة الهندية حتى عام ١٣٩٥هـ، قبل أن يصدر قرار من النظام البعثي البائد بمصادرة جميع المكتبات الخاصة في العتبات المقدسة وخصوصًا المخطوطات منها. دائرة المعارف: ١/ ٦.

٥٧. ينظر: الكافي: ١٥/ ٥.

٥٨. ينظر: مختصر أخبار البشر: ١/ ١١.

٥٩. دائرة المعارف: ٤/ ٥١٥-٥٢٦.

٦٠. المصدر نفسة: ١٠/ ٣٧٤-٣٧٥..

٦١. سورة النساء: آية ١٩.
٦٢. ينظر: مسالك الأفهام: ٨/ ٤٤١.
٦٣. دائرة المعارف: ١٥/ ٢٩٤-٣٤٠.
٦٤. المصدر نفسه: ١٤/ ٢٩٦.
٦٥. المصدر نفسه: ١٤/ ٣٠٣-٣٠٥.
٦٦. المصدر نفسه: ١٤/ ٣٠٧.
٦٧. المصدر نفسه: ١٤/ ٣٠٨- ٣٣٠.
٦٨. اشتملت المكتبة العربية والإسلامية والعالمية على دوائر معارف كثيرة، لكنها جاءت متخصصة في باب معيّن دونما غيره، كالأعلام أو المدن أو الأحداث التاريخيّة أو المصطلحات العلميّة والطبية. ينظر على سبيل المثال: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين: ١-١٠؛ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ١-٣٠.
٦٩. دائرة المعارف: ٤/ ٧١٧- ٧٢٠.
٧٠. المصدر نفسه: ٩/ ١٣٦.
٧١. المصدر نفسه: ٩/ ٩١.
٧٢. المصدر نفسه: ٩/ ٤٧١.
٧٣. المصدر نفسه: ٩/ ٤٧٥.
٧٤. المصدر نفسه: ١٥/ ٤١٤-٤١٥.
٧٥. ينظر: المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٢٥.
٧٦. دائرة المعارف: ١/ ٢.
٧٧. المصدر نفسه: ١/ ٢.
٧٨. المصدر نفسه: ١/ ٢١.
٧٩. المصدر نفسه: ١٨/ ٤١٠-٤١٢.
٨٠. ينظر: رجال الطوسي: ١٠١.
٨١. ينظر: رجال الكشي: ٨٢.
٨٢. دائرة المعارف: ١٠/ ٥٠١.
٨٣. المصدر نفسه: ١٧/ ٤٠٥-٤٢٠.
٨٤. ينظر: الكافي: ٨/ ٩٦.

٨٥. دائرة المعارف. ١٧/ ٤٢١.

٨٦. شكلّت دراسة الديانات السماوية وتسليط الضوء على متونها المعرفية معينًا للمؤرخ لا غنى عنه في رحلته لتوثيق التاريخ الإنسـاني. عن علاقة الدِّين بعلم التاريخ ينظر. فلسفة التاريخ: ٨٢.

٨٧. ينظر. القاموس المحيط: ٢/ ٢٥٢.

٨٨. دائرة المعارف: ١٧/ ٤٧٧-٤٨٤.

٨٩. سورة القصص: آية ٧.

٩٠. ينظر: كمال الدِّين: ١٨٤.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم:

ثانيًا: الكتب العربية والمعرَّبة:

١. ابن شهر آشوب، مناقب أهل البيت، بيروت: دار الأضواء، ط٢، ١٩٩١م.

٢. أبو عمرة محمد الكشي، رجال الكشي، (بيروت: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ٢٠٠٩).

٣. أبو جعفر محمد بن علي القمي الصدوق، كمال الدِّين وتمام النعمة، (بيروت: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٩١م).

٤. أحمد شلبي، كيف تكتب بحثًا أو رسالة، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٧).

٥. أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩).

٦. جمال الدِّين أحمد بن عنَبة، عمدة الطالب، (قم: مكتبة المرعشي، ١٣٨٧ش).

٧. حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعيّة، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠١).

٨. حسن بن محمد القمي، تاريخ قم، (طهران: توس للنشر والتوزيع، ١٣٦١ش).

٩. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، (القاهرة: دار المعارف، ط١١، ١٩٩٣).

١٠. زين الدِّين بن علي العاملي، مسالك الأفهام، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ).

١١. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، (بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط٢، ١٩٨٣م).

١٢. طبقات أعلام الشيعة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٩م).

١٣. طه باقر وعبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، (الموصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٠).

١٤. الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، (قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ).

١٥. عبد الله فياض، التاريخ فكرة ومنهجًا، (بغداد: مطبعة أسعد، ط٢، ١٩٧٧).

١٦. عبد الهادي الفضلي، أصول البحث، (قم: مطبعة ستار، ٢٠٠٧).

١٧. عماد الدِّين إسماعيل بن علي، مختصر أخبار البشر، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

١٨. عمر فروخ، كلّمة في تعليل التاريخ، (الكويت: مطبعة الرسالة، ط٣، ١٩٨٩).

١٩. قطب الدِّين الراوندي، الدعوات، تحقيق عبد الحليم الحلي، (قم: مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٧هـ).

٢٠. كوركيس عواد، معجم المؤلّفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٩م).

٢١. مجد الدِّين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرسالة، (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥م).

٢٢. محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، (بيروت: مؤسّسة الوفاء، ط٢، ١٩٨٣م).

٢٣. محمد بن يعقوب الكُلَّيني، الكافي، (بيروت: منشورات الفجر، ٢٠٠٧م).

٢٤. محمد حسين الأعلميّ، دائرة المعارف الشيعية العامة، (بيروت: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٩٢).

٢٥. محمد حسين الجلالي، فهرس التراث، (بيروت: دار الولاء، ٢٠١٥م).

٢٦. محمد شريف رازي، كنجينة دانشمندان، (طهران: كتاب فروشي إسلامية، ١٣٥٢ش).

٢٧. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، (القاهرة: مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٩٦٧).

٢٨. محمد مهدي الشيرازي، فلسفة التاريخ، (بيروت: مؤسسة الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦).

٢٩. مهدي حسين التميمي، منهجية البحث العلمي، (بغداد: إصدارات جامعة الإمام الصادق عليه السلام، ٢٠٠٦).